

# يُرِيدُ أَنْ يَنْسَاهَا

للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

المكتملين للشقة سكنت ونامت ، ومسي  
جو « البدروم » مشبعاً بالرطوبة أكثر من  
قبل ، وذلك أيضاً لأن الليل خطا خطوة  
جديدة نحو الصباح

وخفتت الأصوات في الخجرة الملائمة  
التي يسكنها طالبان من طلبة الأزهر ، حتى  
بينهما وطيس الجدل قبل أن يندسا حول  
مسألة لا يدري طالب الطب أفعية هي  
نحوية ؟ !

وأخذت أفكاره تتضح تحت رواق  
الليل حتى لكانه يلمسها لها ، واستمع  
من جديد إلى خفقات قلبه فاسترسل معها

قضى سواد ليله وهو يعد خفقات قلبه  
فضاء بعدها ويتدبر معناها تدبر شاب  
يدرس مهنة الطب ويقف إلى مائدة التشریح  
ليعمل مشرطه في جوارح وأعضاء كان  
يخاف عليها أصحابها هبة التسميم !

وأخذت أفكاره تتضح كلما خطا الليل  
نحو الأمام خطوة وخطت الحركة في المدينة  
نحو الوراء ، خطوة عكسية حتى لم يعد يسمع  
جمجمة عربية ولا خفيف سيارة ، وكلها يمر  
من فوق رأسه فتدخل إليه الضوضاء من  
خلال النوافذ لأنه ساكن في « بدروم »  
وحتى الحركة في الحجرتين الآخرين

لا يحمل ضغنا ولا يحوى حقدا ، وأحس  
أنه لا يريد أن يغادر السجن وأنه  
تقرب ساعته الأخيرة

وانطلق سيمونيوتش إلى الحاكم كليموف  
بجرمة القديم ، وصدر الأمر بالإفراج عن  
إيفان ، وحين انطلق البشير ... انطلق  
ليرى الرجل القديس قد أسلم الروح

لأمل محمود صيب

يستعطف إيفان قائلا « اعف عني فبن  
وقع السوط على جلدی حين جلدونی لم  
يكن بأقسی من نظراتك إلى ... لقد  
رحمتني فلم تتحدث عن جريمتي ، والآن  
التمس أن تعفو عني ... » ثم أجهش بالبكاء  
وسمع إيفان تشيخ الرجل فانحرف هو  
الآخر في بكاء طويل وهو يقول « يعفو  
عنك الله ... يعفو عنك الله » وأحس  
حينذاك أن قلبه قد أصبح طاهرا نقيا

إذن فهو لم يرها منذ أسبوع . منذ  
الخميس الماضى بعد أن أمسى الساء فلقها  
فى مسكنها . وبعد أن قضى معها فترة من  
الوقت هبط درجات السلم المظلم الدائر وقد  
صح عنه على ألا تطالع عيناه معارف  
وجهها الخلو مرة أخرى ولو أحرقت أوصانه  
النار . ولم تكن هى تعلم بأنه اتخذ هذا  
القرار . إلا كان من الجائر جدا أن تلقى  
بنفسها من النافذة على مرأى منه حتى تضمن  
أن يسجى جسدها يمينه .

ومر الأسبوع كالحا ثقيلا كان فيه  
أشبه بمن يعيش فى دوامة ، لكنه كان مصر  
على ألا يرجع خطوة واحدة إلى الوراء .  
لا اعتبارات شتى أهم ما فيها أنه يريد أن يضع  
نهاية لهذا اللون من الحب ، وأنه جعل  
رجولته فى كفة وجعل السلوان فى كفة  
أخرى ، وأنه أراد أن يضع رجولته كذلك  
فى بوقنة تجربة عالية الحرارة ليستيقن من  
أنها ستثبت على الصبر .

وهكذا مر الأسبوع . وخرج فى صباح  
يوم الخميس آخذا سمته إلى الكلية ، وكان  
منشرح الصدر نوعا ما لأنه لم يحس ضعفا  
خلال الادة التى انقضت وإن قاوت نفسه  
ضمروبا من الحنين وألوانا من الأفكار .

وانتف الطلبة حول متفردة التشرخ  
فى التفرقة وبدأوا يستلون أسلحتهم ليعملوها

وعاش ، كما تسترسل مع النغم حتى تحال أنك  
ساح فيه . ثم جعل يسأل نفسه عن عدد  
حفظاته منذ دبت فيه الحياة حتى جاوز اليوم  
من العشرين ، وإلى أى مدى ستدوم هذه  
الحفقات ؟ كم من ملايين الملايين سيبلغ  
عددتها يوم أمات ؟ ! ياله من عضو نشط  
سهر حتى دخن نيام ؟ !

ثم أمسك لأنه اتقه إلى دقائق ساعته  
من تحت الحدة وابتم حين رأى بين  
الحجازين تشابها عجيبا . كلاهما يدق ! !  
هذا يدق فيجعلنا نحس الوقت لأننا نعيش ،  
وذاك يدق فيجعلنا نحصى الوقت لنعرف  
كم نعيش ؟ !

وتخلصت أفكاره من استطرادها  
الطاري فعدت إلى ما كانت فيه من قبل .  
ذكر القلب وحفقات القلب ، فاستحضر  
صورته كما رآها فى حجرة التشرخ ، له  
أذنان وبطينان ، وأوردة وشرابين ،  
وأشياء أخرى . لكنه وثب وثبة كبرى  
فخرج من دنيا العلوم إلى دنيا المواطنف ،  
ودكر اليوم الحاسم الفعال فى علاقته معها  
ثم بدأ يستعرض القصة

\*\*\*

كان يريد أن يأساها ولو أن كل شىء  
يدكرها . وهذا هو الأسبوع قد دارت  
دورته وخاء صباح الخميس .

في حوار جاف عليها أصحابها هبة النسيم  
وكان بين أيديهم في هذه الحصة ... قلب !  
وقلما ينسأل الطبيب وهو يعمل الموضع  
في هذا العضو المميز ، وعاء العواطف ،  
قلما ينسأل : ترى قلب من هذا ؟ وإن  
سأل مرة أو مرتين فغالبا ما تتخلف الثالثة .  
وإذا امتنعت بمنطق ما بك ستسلم باستحالة  
أن يسأل الطبيب نفسه قائلا : ألق قلب امرأة  
هذا . أم قلب رجل ؟ وبعد ذلك يعتمد  
في القلب السلاح النفسية من يعتمد المديّة في  
جلدة الطبيب . وهذا هو ما يجري في حجرات  
التشريح .

الكن الذي حدث صباح يوم الخميس  
كان غير ذلك ، لأن أحد الطلبة من التفوا  
حول المتصدة لسأل بعد أن علت شفطيه  
البنسامة خبيثة : ترى قلب من هذا : ؟ !  
فهمس في أذنه طارة الأيمن وكان كثير  
الرح يقول له : « ولا القلب إلا أنه  
يتقلب » هذا هو كل ما تخلف في ذهني من  
رواست الدرس الثانية ... هل تعرف  
صدر هذا البيت ؟ - النا ولصاحب هذا  
القلب أيها الزميل ؟ فقال الأول : حسبك  
أعرف صاحبه . فأنقسم الجار الأيسر ، وهو  
صاحب القصة ، ثم مال إليهما مستغربا  
موضوع الحديث لما كان من الطالب  
الأوسط إلا أن همس : إنني أعرف صاحب

هذا القلب !

ثم اقتطع الحديث بعد ذلك . وبدأ الطب  
يسيطر على الحقوق التي فرضتها الحياة للجسم  
والقدسية التي فرضها الموت للأعضاء ، فأعادت  
في القلب الشارط وحى وطيس الدرس  
فسي المتأملون ما كانوا يصدّون من قول  
لعل بعضه كان بفضة شاعرية وبعضه الآخر  
كان دعابة من دعابات الشباب

لكن الطالب الأوسط ما لبث أن أعلن  
بعد انتهاء الدرس على مسمع من المجموع أنه  
يعرف صاحب هذا القلب . فأقبلوا عليه  
يستفسرون في فضول مختلف الدرجات  
فقال وهو يتضحك ملء صدقته : إنه  
قلبا ... قلب الكرم الحياء ... حسنا  
حارة الغناء ... في درب الخوخة مرة ...  
هل فيكم من يعرف اسمها ؟ ... كان  
اسمها جمالات !

فتضحك بعضهم ضحكة ماحنة منعمة :  
« هي . هي . » ليرحمها الله !

\*\*\*

كان عاهد نفسه أيهاها ولكن  
الأقدار أراسته من هذا الغناء .

أقبلها يوم الخميس وودعها دون أن  
تشمع بوداعه ، ثم حمد نفسه في الخميس التالي  
أنه ثبت على التجربة وهو لا يدري أن هذا  
أقوى من كل شيء يستحوذ به ويهيئ إلى

حين اكتشف بين أنقاض الجعم وخرائب  
المدن روحاً جميلاً شفافاً اندفن تحت هذا  
الركام

وحدثت المداقة بينهما تخرج نمو  
الصدقة رويداً رويداً ، واختفت الريت  
بالرئيق حتى الرغم من كل شيء ، لأن طاب  
الطلب كان يعتذر لنفسه كلما دفعه إليها  
قلبه متملاً بأن الريت والرئيق من الخيال أن  
يخرج ، وسينبق كل منهما منفصلاً عن  
صاحبه ومن طالت مدة التجاور .

وكان يلقي من أمره عسراً عند كل  
افتراق لأنها كانت تنسحب به لشبث العريق  
بالفدين وسكاد تعلق بأذيانه كما تعلق الصبرة  
الأيسة

سكنه قرر نجاة ألا يلقاها ...

وكان ذلك عقب تقديم هدية إليها ،  
ولم تكن هو من اليسار بحيث يستطيع أن  
يقدم إليها كثيراً ولم تكن هي من  
الاستغلال بحيث تطلب منه أي شيء .  
فأحسن خجلاً وحسرة حين تخيل أنه  
يقترضها من خزانة القلب بطريقه « المقاصة »  
فكأنه يأخذ من العطف متعة ، ومن أجل  
ذلك قدم إليها هدية !!

كانت خاتماً جميلاً فيه ثلاث حبات من  
النس . النسبا إياه وهما مستغرقان في  
الحديث ، فلما انتهت إلى ما فعلت شجعت

مدى لا يعلم غيبته إلا الله !!

وقضى سواد ليله وهو يحصى خفقات  
قلبه في خلال السكون ويسترجع صورة  
قلبه تحت وريش التصال ، تخيل إليه أنه  
كان يخفق تحت جناح وهو في هذه الحالة ،  
فستقطع الأمر وقد يصرخ في ظلام العرفة  
ثم مسك يسأل نفسه : أين موضع الحب  
من قلوب الناس ؟ وعلى تعثر فيه أحراق  
للمطمع على موائد الشريح ؟ ألا ليتني أعلم ؟  
وهم بأن سرح مرة أخرى لكن  
تجبر الصبح : أبو المعاطي في الحجرة  
اللاصقة انتهى إلى سمعه ونجاه عن تيسار  
أفكاره شيئاً . حين قلب حياة جارد في  
لواحي فكره وتلى أن فتاح له هو مثل  
هذه الحياه ... الحياة الباردة التي لا يصرخ  
في وادحها نبي .

سكن جمادات ، حسناء درب الخوخة  
وحت أبواب مسكرة مرة أخرى : إليهم  
لا يعمون أنه الشخص الوحيد الذي وفق  
فلتقي بالشخصية الشريفة في جسدها البتذل  
حين أصبح هو في حياتها أنسبه بالواحه  
وحيدة في مخرج دنياها الواسعة الخديبة  
دخل حجرة بها أول مرة وهو متأبط  
ذراع الشيطان ، فدخلاً يقيها ثم خرجا  
يقيها ، مسكرة التحيرة لكن طالب  
الطلب خرج في المرة الناشئة وهو حزين سادر

يخبر أمه في رسالة أن الخاتم قد فقد ،  
حزين يشمر بالإثم ويطلب المغفرة

\*\*\*

والتفتي أسبوع على هذا الحزن  
ولعلها كنت تنتظره في كل مساء لئلا  
تخلف . ثم وقعت السكرانة وشربت خمر  
درب الخوخة السم في كأس من الشراب  
دسه لها خلدن ربما كانت قد عنده بطا عظم  
على قلبه وسممها على جيبه أو سممها  
عليهما معا . ونقلت إلى المستشفى وعسيت  
معدتها لتخضع من السم ولكن لم  
تسرب إلى صدر شفي فأشقي ، وخدع ، ففقد  
فالقبيت رثاها كأنما شرب فيهما حريق  
وركب المذيان وهو واثق أنه كان موصوف  
هذيانها .

وها هو ذا الليلة يحصى دقات دمه  
ويتحسس في ظمة الزمن يوما سيبكف دمه  
عن الخفقان لأن موته ذكره بالموت  
ثم مال ميزان المعركة أخيرا ، وانعبرت  
الحياة فبدأ يفكر في طريقة السوان  
ونزل من فراشه وتحسس زر النور فضاء  
الفرقة ...

وجلس على مكتبه وأمسك القلم كأنه  
أمسكه ليكتب شيئا ...  
لكن التفاتة حانت منه إلى خزانة  
الكتب فرأى على حافتها العليا شيئا تعلق

سائلة مبهوتة وإن أشرق وجهها النحيل  
بنور فرح ضئيل قالت : « أهو لي ؟ ... »  
هل أستطيع أن أرفضه لا ! ... أخشى أن  
أغيبك ... أو أن أزهقك »

ثم تبين له بعد ذلك أنه فعل أمرا منكرا  
لأن البون شامع بين كنف أمه والكف  
التي تحتمت به الآن . وقعت في ذمته قطية  
معتدة لأن الموازنة بين المرأتين في هذه  
النقطة جعلته يضع جمالات في نفس المكان  
الذي يضمها فيه كل الرجال . وكاد ينكر  
نفسها العظيمة التي طمرت تحت أنقاض  
الحسد بفعل أيدي الناس !!

ثم لح به الفكر حتى وضع المرأتين  
متجاورتين فرأى أمه الريفية وعلى رأسها  
نرحة سوداء تستدير مع استدارة الوجه  
وهي راكعة عند المدخل على سجادة من  
الحصير . ثم رأى جمالات وقد تنثر شعرها  
في فوضى مثيرة وقد تسكون مربية ، فهي  
امرأة تزين في كل يوم عشرين أو ثلاثين  
مرة ، وتعرف دخولها بعد إحصاء عدد مرات  
لزمته !!

وبعد . فهذا الخاتم يحمل ذكريات  
عريضة . حملته أمه إياه ليصلح بعض فصوصه  
التي انحلت من مكانها ثم يعيده مع من  
يراد أهلا لحل الأمانة ... لكنه خذ الأمانة  
وسيقف بعد ذلك موقف الكاذبين حين